تحولات المعنى الجمالي في الثقافة ومخرجاتها في الفن العراقي المعاصر

م.د. زهراء صبحي خزعل

وزارة التربية، مديرية تربية بغداد الكرخ الثالثة

الكلمات المفتاحية: المعنى الجمالي- الثقافة- الفن العراقي المعاصر

الملخص:

يمكن القول ان الثقافة ظاهرة انسانية تختلف تبعا لاختلاف المرجعيات التي تؤسس الى رؤيا عند المجتمعات عن الموروثي والحضاري والاتجاه الديني والاسلوب الحروفي في الفن العراقي المعاصر معا، وفي ضوء هذا تكون مخرجات الرسوم احدى وسائل التعبير عن تحول المعنى الجمالي، ثم تشكل الثقافات التي عن طريقها يمكن تحقيق هوية العمل الفني او ما يطلق عليه بالأصالة والتفرد.. ان هذا البحث يقوم بتحليل ظاهرة تحولات المعنى الجمالي في الثقافة العراقية عند الفنانين العراقيين ومتابعة مرجعياتها التي تستند على الوعي والقابلية الاستعارية لدى الفنانين.

الفصل الاول – الاطار المنهجي

مشكلة البحث:

تعد الثقافة ظاهرة انسانية يمتاز بها البشر لكنها تتحول باستمرار نتيجة لمرجعيات مختلفة تختلف تبعاً لاختلاف المجتمعات، فالمكونات الثقافية الأساسية للفنون التشكيلية العراقية والمرتبطة بعمق التراث العراقي، تلك المكونات الثقافية الأساسية لم تندثر بل كانت تعمل بهدوء تحت الأردية الثقافية المختلفة لتلعب دورا مهما في تكوين الهوية الثقافية للفن العراقي الحديث في الفترة اللاحقة، ومن الملامح المهمة في هذه الهوية الثقافية هو التقليد العريق والمتواصل للإنتاج الفني التشكيلي في العراق القديم وادي الرافدين مروراً بالفنون العربية قبل الإسلام والفترة اللاحقة. وقد استثمر التراث الإسلامي ذلك التقليد المتراكم وأثر به مضيفا له تجارب ثقافات أخرى وأساليب تصويرية متنوعة بأدوات وتقنيات متعددة. هذا التقليد العريق والذي نتج من تزاوج التراث العربي والثقافة الإسلامية كان حاضرا في بدايات القرن العشرين وله دور مهم في صياغة الهوية الثقافية للفن العراقي الحديث. من جانب آخر فان التنوع الاجتماعي والتعددية الثقافية والدينية في المجتمع العراقي وهي ظاهرة متواصلة

عبر الحقب التاريخية وبصور متفاوتة ذلك التنوع أضفى و أغنى ملامح تلك الهوية الثقافية وأثرى مصادرها.

يحاول هذا البحث تحليل المصادر الثقافية المحلية التي أثّرت في تكوين الهوية الثقافية للفن العراقي المعاصر ثم تأثيرها على نتاجاتهم باعتبارهم جزءا من الثقافة العامة استعاراتهم من بالتراث العربي والثقافة الإسلامية إضافة الى تأثير المفاهيم والقيم والمصادر الأوروبية الغربية المستوردة وتفاعل كلا المحركين في إنتاج فن يتسم بالحيوية والتجديد.

يقدم هذا البحث أيضا تعريفا مختصراً للعوامل الأساسية والمفردات التشكيلية المحلية التي ساهمت في تكوين الهيكل العام في مناهج الفن الحديث، اضافة إلى ذلك فان هذا البحث هو محاولة لتأسيس قراءة لموضوعة الفن بتركيز الاهتمام على جوانب مهمة في المصادر الثقافية المحلية التي ساهمت بصورة فاعلة في صياغة المشهد التشكيلي العراقي وبناء هويته الثقافية التي غرفت وافراً من منهلي التراث العربي والإسلامي تلك المفردتان الأقوى في تركيبة البناء الفني للإنتاج التشكيلي ، وتلك هي واحدة من اهم من مشكلات التكوين الثقافي ويمكن مقاربتها بالتساؤلات التالية :

- ماهي المصادر في الثقافة الفنية العراقية؟
- ما هو المتغير في مصادر الثقافة العراقية وتأثيراته على الفنانين ؟
- يمكن لأساتذة الفن وانتاجهم ان يؤدي دورا في صياغة انتاج الفنانين ؟

اهمية البحث:

تأتي اهمية هذا البحث في اقامة حفريات داخل الوعي الجمالي في الثقافة العراقية لاستكشاف الذائقة الجمالية و تحولات المعنى في الثقافة ، وتأتي اهميته في فتح المجال امام دارسي الفن وطلابه في معرفة بالمحيط العام ثقافيا وشكليا .

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي الى:

- التعرف على تحولات المعنى الجمالي في الثقافة العراقية

حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بـ :

الحدود المكانية: الفنون التشكيلية في العراق

الحدود الزمانية : (٢٠٠٣-٢٠١٩)

الحدود الموضوعية: مقاربة التأثير الثقافي العراقي في الفنانين العراقيين

تعريف المصطلح:

الجمالية :

إصطلاحاً : تعريف مصطلح الجمالية في الموسوعة الفلسفية:-

"ان العمل الفني حدس حسي لعاطفة بينها جاء ذلك العمل الفني ايضا تعبيرا كاملا عنها لذلك فأن الخبرة الجمالية في جوهرها تعبيراً عن شعوراً و رمزاً له". (مجموعة مؤلفين،٢٠٠٣،ص١٣)

ايضا ورد في قاموس اكسفورد "إنها عملية ادراك حسي للجمال في الفن والطبيعة وهي نظرية في التذوق" (مجموعة مؤلفين،٢٠٠٣،ص٣٤)

وقد وردت في " دائرة المعارف البريطانية - نشرة ويليم بنتون" بأنها :

الدراسة النظرية لأنماط الفنون ، وهي تعنى بفهم الجمال وتقصّي آثاره في الفن والطبيعة ، وتنفرد بدراسة الظاهرة الجمالية وما تمثّله من أهمية في الحياة الإنسانية من حيث البحث في: الأعمال الفنية بأنواعها من جهة وصفها وتحليلها ومقارنتها فيما بينها ، السلوك الإنساني والخبرة في توجههما نحو الجمال، وتركز (الجمالية) اهتماماتها في الكشف عن الحقائق الخاصة بالفنون والعمل على تعميمها. (بنتون،٢٠٠٠،ص٥-٩)

التعريف الاجرائي للجمالية:

تبنى الجمالية على الابداع وميزتها التذوق وفعلها الادراك الحسي في النظر الى الاشياء سواء في الفن او الطبيعة ووظيفتها تحرير عاطفة ما تجاه شيء كي يسمى جميلا.

التعريف الاجرائي للثقافة الجمالية :

هي القيم المادية والوسائل التي تبحث في رؤى جمالية تعبر عن حقائق روحية، تنسجم مع تحولات العصر بإرهاصاته الفكرية تعتمد الوعي الجمعي العراقي .. وتأكيدها على ما تثيره من انفعالات وجدانية جمالية خالصة أدت إلى تحولات في مسار الرؤية الجمالية.

الفصل الثاني

الاطار النظري والدراسات السابقة

الثقافة مفهوماً:

تعد الثقافة من المفاهيم الاساسية في المعرفة باختلاف أنساقها واتجاهاتها ويتعلق الحقل المعرفي بمجموع المؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بطابعها الوظيفي التي " تنظر الى الثقافة كمنظومة من الممارسات والسلوكيات والعلاقات العامة، وتشمل الجوانب الاجتماعية الواقعية الراهنة والابعاد التاريخية" (ميشيل،٢٠٠٨،ص٩) ومن هذا تعدد النظر لمفهوم الثقافة ومنها الفنية و تفسيرها وفهم الكيفيات التي تتحول بها نشاطاتها وفعالياتها الى طرائق تعبير مختلفة في الواقع الاجتماعي وانعكاسها على نمط الحياة واساليبها وتنامها الى اشكال وصور ، ولذلك يمكن وصف الثقافة على انها " اسلوب خاص بالحياة وتعبير عن قيم

ومعاني محددة داخلها وبأنها هيكل العمل الفكري والخيالي الذي يسجل فيه الفكر والخبرة الانسانية (لادريير،٢٠٠٧،ص٢٢) ويتوقف تماسك كل مجتمع انساني على فهم افراده لقيمه وقواعده المشتركة أي كل ما تنطوي عليه فكرة الثقافة في الواقع ، ومع الافتراض الذي يجعل من الثقافة طريقة تتعلق بكلية الحياة سواء كانت اجتماعية او اقتصادية او سياسية يظهر التفاعل والتلازم الوثيق بينها وبين الاليات المحركة لها سواء أكانت فكرية وسياسية او تكنولوجية بحسب النظام التقني والوظيفي المحكوم بأسس وقواعد (فالفعل الثقافي ضروري الوجود من خلال خلق الوعي لدى المجتمع) (سليم،٢٠٠٣،ص٢٨) وكان الفن أحد فروعها التي تخضع لآليات ومفاهيم لأدراك تمثلاتها في اساليب واشكالها الفنية و يمكن عد الفن التشكيلي مرجعا لأي نسق ثقافي بوصفه جزءا اساسيا وحيويا من بنائه الكلي لذلك تمكننا الاعمال الفنية الاحالة الى الحقبة الثقافية التي تمت فيها عملية الانجاز وفقا لموضوعات او اشكال او تقنيات معينة ذات صلة بهذه الحقبة وبهذا ينطوي مفهوم الثقافة على عدة جوانب مختلفة، انها كلمة متشعبة المعنى تدخل في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية.. لذلك فان الانسان الكائن الوحيد الذي يمتاز ببعده الثقافي ، وعليه فان الثقافة في مفهومها الواسع هي نتاج مجتمع بأجمعه و لكل مجتمع ثقافته الخاصة واذا كان المجتمع صغير لذا فأنه يتأثر بالمجتمع الاكبر وهكذا تنتشر الثقافة بين الشعوب " ان تتعاون في امداد جميع الشعوب بحصيلة العالم من المعرفة والثقافة من اجل خدمة الحاجات البشرية المشتركة " (اليوت،٢٠١٤،ص١٦) لذا فان الثقافة متغيرة غير ثابتة تختلف من مجتمع لآخر تبعاً لظروفها ونجد في كثير من الاحيان ثقافات متعددة في نفس العائلة ترجع هذه الاختلافات في طرق اكتسابها حيث ان الثقافة تكتسب او تكون موروثيه او ترجع الى البيئة والمحيط الذي تتشكل به الثقافة بالتحديد الثقافة العراقية التي مرت بكثير من التحولات التي من الممكن ان تغير الذائقة الجمالية العراقية في جوانب متعددة منها الجانب الفني " ان الثقافة تنمي وترعى الفهم المتبادل لحياة شعوب العالم وثقافتها وفنونها ودراساتها الانسانية وعلومها " (اليوت،٢٠١٤،ص١٦) لذلك نجد ان الفنانين يعبرون عن ثقافتهم من خلال فنونهم ونميز فنان عن آخر من خلال اعماله الفنية التي تحاكي ثقافته وهناك بعض الفنانين يعبرون عن بيئاتهم والبعض الآخر يعبر عن الموروث الشعبي .. الرسام العراقي فائق حسن عبر عن بيئته من خلال رسوماته عن البيئة العراقية والحياة البدوية ، لذا فان للثقافة تأثير مهم على حياة الفرد وهي تمتد الى مجالات وجوانب مختلفة وتتأثر وتؤثر كما في العولمة والتطور التكنولوجي التي استخدمها الفنان في عمله ادى الى ظهور فنون جميلة وغريبة عن ما سبق التي تدعى بفنون التغريب التي يتقبلها او يرفضها المتلقي يرجع ذلك لثقافته ومدى تقبله لها .

(شكل١) من اعمال الفنان فائق حسن (شكل٢)

المرجع الثقافي للفن العراقي

كانت ولازالت معطيات الثقافة تحدد المسارات الاكثر حضوراً في الذائقة الجمالية التي لابد لها ان تتبنى مجموعة من العلوم المجاورة ومنها السيسيولوجيا ودراسة المجتمع وهي بالتأكيد تتبنى في وضع قواعدها ومسيرتها ارثاً اجتماعياً بمجتمع الفن والفنانين الشيء الذي يفرض وضع تساؤلات أبستمولوجيا للاقتراب من تلك التحولات وعلاقتها بالذائقة العراقية ، تلك التحولات التي ستكون كالرحم للفنان الذي لابد من ان يعيش بها كونه احد افراد المجتمع فالفنان حينما ينتج ويبدع عملاً فنياً فانه بالتأكيد سيحيل المتلقي من خلال ذلك العمل الفني الى العالم وما فيه من عناصر لان عناصر العمل الفني لابد انها مأخوذة من ذلك الواقع " فان الفنان باندماجه في عصره يدرك ويتجاوب بطريقة تتحكم بها الى حد ما التقاليد والانساق الخاصة بمحيطه الثقافي" (نوبر،١٩٨٧،ص٤٥)

ان اشكالية المرجع الثقافي في المجتمع العراقي ستكون متعددة الاوجه كونها ترتبط من ناحية بالبيئة العراقية ومن ناحية أخرى بالفلكلور الشعبي العراقي والسؤال ماهي مصادر المرجع الثقافي العراقي؟

يكشف تاريخ الفنون عن مرجعيات ثقافية مختلفة فكما ان فن الخط العربي والزخرفة الاسلامية في الاضرحة المقدسة ودور العبادة يختلف عنه في الرسوم الفنية والقرآن الكريم على سبيل المثال هناك ايضا تحولات بطيئة لكن محسوسة تمت داخل فن الخط العربي والزخرفة الاسلامية في كل ثقافة وسواء كانت هذه التحولات قد حدثت بسبب تبدل الظروف السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية..

(شكل٣)عمل الفنان روضان

(شكل٤)عمل الفنان احمد ناجي

فأنها تكشف عن تشكل ذائقة جمالية جديدة تنتمي لمرجع ثقافي معين " ان الاحداث التاريخية في ميدان الثقافة وثيقة الصلة بعضها ببعض على الرغم من تعذر اقامة رابطة علها فيما بينها او قد يفترقان على خلاف ذلك الى كل علاقة باطنية على الرغم من ان ليس ثمة شك في وجود رابطة علها بينهما" (هاوزر،١٩٦٨،ص٢٧٧) ، مما لاشك فيه اننا بإزاء تنوع هائل في الاعمال الفنية لكل ثقافة وما ينعكس ذلك على الذائقة الجمالية العراقية ، والحال ان التعرف على المرجع الثقافي يسهم في فتح الطريق الى تلمس الكيفية التي يتذوق بها المجتمع العراقي الاعمال الفنية التي قد تكون مرجعها من البيئة المحلية .. وهكذا فان المرجع الثقافي يعتبر نتاجا كبيرا" لذلك فان احوال النمو الحاصلة منذ نشوء البشر حتى يومنا الحاضر قد اصطلح علها بقانون التحول" (صبحي،٢٠١٩،ص١٢٣) وقد تتحول المرجعيات الثقافية وتنمو نموا يؤدي الى تغيرات في المعنى لا حصر لها هذا التغير في طبيعة المرجع الثقافي ذاته وفي تنامي الثقافة التي نمتلكها حول المرجع سيؤدي الى انزياحات وتحولات في المعنى الجمالي والذائقة العراقية فكل ثقافة جديدة سيؤدي الى نشوء مرجع جديد ومن ثم ستتطلب تلك الحالة الى خلق معانٍ جديدة ، فالتحولات الثقافية في المجتمع العراقي ستهيئ مناخا جديدا للأعمال الفنية وبالتالي تحول الذائقة العراقية ، ان هذا التحول لا يعني بالضرورة نفي المرجع بل سيكون هناك مرجعيات تحت مسمى نظام العلاقات بين المرجعيات الثقافية (محمد،٢٠٠٨،ص٥٧) على ذلك فان دراسة المرجع الثقافي تسهل علينا الفرز وعدم التداخل بين عناصر كثيرة بعضها ينتمي الى التكوين الانساني وبعضها الى التكوينات الطبيعية.

الإرث التاريخي والسياق الاجتماعي :

وجد طالب الفن نفسه قائم على ارث تشكيلي غني في تنوعه يمثل مرجعاً لاستدعاء اشكال وسمات الفن التشكيلي العراقي المعاصر فضلاً عن كونه جذراً مرجعياً مؤثرا على معظم المدارس والاتجاهات والاساليب الفنية التشكيلية الغربية الحديثة عموماً "فالفن الرافديني في بدايته قد انطلقت قوية متكاملة الشخصية ومازالت تحمل خصائصها ووحدتها حتى يومنا هذا " (الهنسي،٢٠٠٨،ص١٠٩) والتي تمتد جذوره الى عصور ما قبل التاريخ، المشبعة أعماله الفنية بالضخ التعبيري والمنعكس الدلالي، إذ يقترن الاشباع التعبيري بالابتعاد عن المطابقة لأشكال الواقع المرئي، كون العمل الفني الملتزم بالتطابق لابد أن يكون مقيداً بالحدود التي يفرضها المستدعى الشكلي على حساب حرية الأبداع الفني وعليه فأن التصرف يحقق نوعا من الحرية في التعبير – أي كلما زاد التصرف بالشكل وابتعد عن المستدعى ، يكون المنعكس التعبيري منه على المتلقي أكثر جلاءاً ووضوحا وكلما اقترب العمل الفني من التطابق مع الواقع المرئي يؤدي ذلك الى تذليل البث التعبيري .

(شكل٥) الواسطي

(شكل٦) فرج عبو

(شكل٧) كاظم حيدر

"تتحقق التجربة الجمالية او الوعي الجمالي بالتفاعل والتحاور والتأمل بالفعل الحداثي الذي تفرزه ثقافة العصر" وكذلك فأن معظم الخصائص والسمات التي يمتاز بها والتي ورثها من أجداده العظام تمثل مرجعيات لخصائص الحداثة في التشكيل، وبذلك أصبح الطريق الى الحداثة سالكاً بحكم تعلقه مع خصائص وسمات إرثه الفني الرافديني القديم، ولكي تتحقق التجربة الجمالية او الوعي الجمالي بالتفاعل والتحاور والتأمل بالفعل الحداثي الذي تفرزه ثقافة العصر ذلك الحقل الذي يحقق انفتاحا تواصليا واسعا كونه يهتم بنوعية العلاقة الاجتماعية التي تجمع بين المرسل والمتلقي والخطاب الذي يبث عبر وسائل الاتصا ، ومن هنا فان" المشاهد البصرية تعد بمثابة القناة التي تمر منها المعاني والدلالات التي كانت على مراحل تطورها عبارة عن إرسالية مرتبطة باليات وسياقات معرفية متنوعة-فكرية واجتماعية وسياسية ودينية تعكس الواقع وطبيعة تفكير وثقافة المجتمع وان عناصر المشاهد البصرية من أشكال وألوان وخطوط هي مجموعة من انساق فاعلة جرى ترميزها و تحويلها إلى رموز تؤدي

وظيفة تواصلية للمعاني التي تحملها ضمن السياق" (حيدر،٢٠١٨،ص٥) وبالتالي فالتحليل التداولي لأي ظاهرة إبداعية ومنها الظاهرة التشكيلية لابد لها من فهم الأخر الذي يتلقى رسائلها ،أن تلامس المعطيات الفكرية والبنائية التي دفعت بنتاجات الفنان العراقي المعاصر إلى الإفصاح عن وسائل عدة في الإنتاج الجمالي والفني تحت غطاء تباين العلاقة ما بين الذات المتأثرة والسياق المؤثر فيها، فالإبداعي يتمثل بكونه خطابا انزياحيا يتجاوز معناه المجرد إلى مستوى آخر تتعدد فيه الاحتمالات ولذا مع كل قراءة فعالة ، نعبر نحو أفق جديد تتشكل معه آفاق جديدة للمعنى، بقدر ما تتغير شروط الامكان والأسباب أو تربك الحسابات العقلية وتخلط الأوراق ، وكما يقول الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون " لو كان الوجود الخارجي ينبه حواسنا وشعورنا بطريقة مباشرة ولو كان في استطاعتنا ان نتصل بالأشياء وبذواتنا اتصالا مباشرا لكان الفن _ فيما أعتقد _ عديم الجدوى " (حرب،٢٠٠٧،ص١٥) والعمل التشكيلي المعاصر في العراق وليد سلسلة من التحولات الفكرية و التشظيات الثقافية الثورية والتي اتت ضمن منظومة التفكير العامة للمجتمع المحيط بالرغم مما يحمله من فردية وذاتيه في الاداء.. إلا أن تلك الأفكار والمشاعر لا يمكن أن يولدها أو يثيرها سوى الواقع الفعلي - السياق- فحينما ننطلق في التحليل التداولي لأي نتاج فني إنما ننظر إليه ضمن سياق اوسع سياق الحياة الاجتماعية والحضارة الانسانية في عمومها ، ذلك إن عناصر معينة في النتاجات الفنية لا يمكن ان تفهم داخليا بمعزل عن مجتمع الفنان وحضارته الانسانية ونوعية وعناصر الثقافة الجمالية- الاجتماعية التي يستحيل الاعتقاد بصيرورة المجتمع بدون حد ادنى من الثقافة التي عن تعبر نظام قيمه وتعكس انماط تفكيره وتجسد انساق معارفه لأنه "لا يمكن توقع نشوء ثقافه ومعرفه بالمعنى الكامل للنص وتكون في ذات الوقت نقية من الترسبات الحضارية وبمنأى عن التأثيرات التاريخية وخالية من الاعتقادات الدينية وخالصة من المرجعيات الرمزية" (فاوبار،٢٠١٢،ص٢٦) فالفنان يجسد انتقالاته الحضارية في آليات التبادل والحوار والانتقال والاستفادة من تجاربه والخبرات المتراكمة وفي صياغة متجددة تعبر عن قضاياه المعاصرة ومختلف المسائل الابداعية التي تلامس احتياجاته وتأكيد انتمائه لحركة الحياة التي تفرز ثقافتها وتكون افرادها "وتبني خيالاتهم وفق منظومات الرموز والقيم والوسائط والآليات والقوانين وكذلك يعمل على اعادة صوغها او ابتكارها في ضوء ما تستثيره القراءات او التأويلات" (بولنوار،د.ت،ص٢) لذا "فالمعنى الذي نبحث عنه في طبقات الخطاب وترسباته ليس سوى القصد والغرض الذي من اجله كانت اللغات البصرية وكان التواصل الذي اشترطه فعل التماس المباشر وغير المباشر بين الفنان ومحيطه " (عباس،٢٠١٢،ص٢٥) ويتأثر الفنان بمحيطه الخارجي من بيئة وعادات وتقاليد وموروث وسياسة ودين وغيرها من عوامل قد تؤثر بشكل أو بآخر في شخصية الفنان ونتيجة لذلك فهي تؤثر على العلامة او الرمز الذي يستخدمه

في أعماله الفنية، فالمفردات او العلامات التي يستخدمها الفنان العراقي تختلف عن الرمز الذي يستخدمه الفنان في بلد آخر.

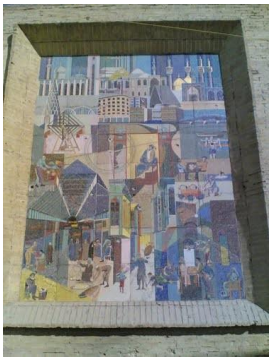

(شكل٩)حافظ الدروبي

(شكل٨) فائز يعقوب الحمداني

(المفردات و العلامات التي يستخدمها الفنان العراقي تختلف عن الرمز الذي يستخدمه الفنان في بلد آخر) فبيئة وحضارة وفكر العراق يختلف، وقد يختلف أيضا من فنان لآخر ضمن المنطقة الجغرافية الواحدة نفسها، فنان جنوب العراق يختلف في استخدامه للرمز عن فنان شمال العراق أو وسطه، ويصل الاختلاف من فنان لآخر ضمن نفس المنطقة الجغرافية نفسها، نتيجة التراكمات المعرفية والتجارب الخاصة والثقافة الشخصية لكل فنان نظرا لاختلاف البيئة المحيطة به والمجتمع الذي ينتمي له وحتى في العادات والتقاليد وغيرها من المؤثرات "وقد يكون الاختلاف بين الايكولوجية التي ترى البشرية بوصفها واحدة مع الطبيعة وكجزء لا يتجزأ من سيرورة التطور التي تمضي بالكون قُدُما من المادة الجامدة إلى الحياة إلى الوعي وفي المآل .إلى الإلهي" (المعلا،٢٠١٣،ص٥١) هذه النظرة الجديدة إلى العالم تشدِّد على الطبيعة الفريدة النفسية والقدسية لعالمنا، وصفوة القول ان المنجز التشكيلي الرافديني كخطاب يمتلك القدرة لبث الدلالات البصرية كلغة تشكيلية تتعلق وتتوالف خلالها المؤثرات بما يمتلكه الفكر من خصوصية تحويلية ومن ثم توليدية تركيبية يبثها المعمار الثقافي كمنجز من الانشطة المتداخلة والفعاليات المتشابكة التي تمارسها عناصر المجتمع" (حرب،٢٠٠٧،ص١٦٢) وهنا يصح القول إن العمل الفني يشكل شاهداً تاريخيا يروي لنا قصة العلاقات الديالكتيكية التي نشأت بين الفنان ومدخلات الفكر السائدة في بنية المجتمع .. فالفن بوصفه ادراكا معرفيا للواقع عن طريق انعكاس العالم في مشاهد بصرية وهذا الأمر يتطلب منا الاستبصار بالطرق التي يعتمدها الفن لإنجاز عملية الانعكاس تلك" (مقبول،٢٠١١،ص٢٥) ومن بين الخواص المميزة لانعكاس العالم عقلانيا بوساطة الفن وقدرة الفنان على التفكير

بصيغ مجازية، لذا نرى أن الاستعانة بالخيال أمر يتطلب مهارة ترفدها المعرفة والأسس التي تسهم في إنتاج الإبداع ذلك إن جوهر عملية الاتصال والتداول هو المشاركة في الأفكار والمعاني والمعلومات وذلك يعد نشاطا يستهدف تحقيق الانتشار حيث يصنع وجوده في الفن ليستطيع أن يحقق التوازن بين المؤثرات الداخلية المتمثلة بالمكبوتات والانفعالات النفسية والرغبات، وبين المحسوسات الخارجية، فالفنان يستعين بأدق التقنيات الواقعية ليؤكد واقعية خيالاته ، ما دامت النوازع حقيقة ذاتية كضرورة نحو التحرر من قيود الواقع المُعاش ، والذي يتم تجسيده على السطح التصويري الذي يكشف عن الترابط بين الوعي واللاوعي ، بحيث يظهر الجمال ذا سمة تخيلية مع ان الحدس يتجسّد منطقة من اللاوعي والتحرر من سلطة العقل ، لتمكين إرادة الذات من استدراج الوعي بالقدر الذي يستدرك فيه أمر معالجة المادة وتقنية الأداء فقط لتحقيق الصورة الحدسية اللاواعية .

(شكل١٠) وداد الاورفلي

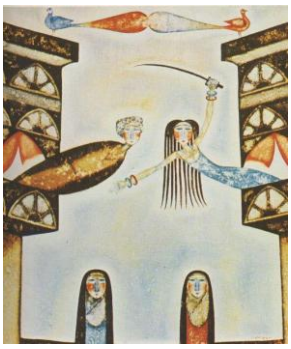

(شكل١١) حسن عبد

الدراسات السابقة:

- **نسق التواصل والمثاقفة في الفن التشكيلي العراقي المعاصر (دراسة تحليلية) - رسالة ماجستير- محمد عبد الحسن عودة العنزي-بغداد-٢٠١٣**

ان هذا البحث يحاول تلمس الابعاد الثقافية والمرجعيات والاحداث التي مرت في الفن التشكيلي العراقي المعاصر فهناك ثقافات تقوم على الفعل والتجربة التاريخية واخرى تعمل على ازاحة تاريخية وعليه فقد كان للفن وهو احد وسائل الاتصال المعاصر دورا اساسيا في الاتصال والتبادل الفكري والبصري والجمالي يتضمن البحث الحالي تقدمة منهجية تتضمن مشكلة البحث وأهميته حول ما يقدمه هذا الفن من خصائص لم تكن معروفة في حياتنا المعاصرة ، ويساهم إطلاق هذه المشكلة في الكشف عن دور المثاقفة في الفن التشكيلي

العراقي المعاصر وهو هدف البحث، ويقوم البحث منهجياً على خمسة فصول الفصل الأول مفهوم التواصل وقد قسم إلى مبحثين، تعلق الأول منهما بالتواصل غير اللغوي، والثاني منهما بالتواصل الحضاري أما الفصل الثاني: فقد خصص بمبحثيه لدراسة المثاقفة، وفي الفصل الثالث: تناول الباحث الفن العراقي – الخصائص والتبادل الثقافي- مرحلة التأسيس أما الفصل الرابع: فقد تأسس هذا الفصل على التطبيقات وعينات من مجتمع البحث، فتناول الباحث تجارب الفنانين العراقيين بعد حرب ٢٠٠٣ الفصل الخامس: واختتم الباحث الدراسة بعرض الاستنتاجات منها حضور الايديولوجيا، إذ أثرت الحرب ومخرجاتها في بعض اعمال الفنانين العراقيين، نزع الفن إلى التأثر بالتمظهر الديني حيث استلهم الفن العراقي المعاصر الحدث الديني في أعمال كثيرٍ من الفنانين ومن التوصيات التي توصل إليها الباحث بقيام دراسات مجاورة في تأثيرات البنى الجديدة في العالم ومدى تأثر الفن العراقي بها.

- **البعد الجمالي والتداولي لفن الرسم في الثقافة العراقية-أطروحة دكتوراه -فلاح حسن حسين الشكرجي –بغداد-٢٠١٤**

يتناول البحث قضية العلاقة بين فن الرسم وبين المجال العام للثقافة العراقية بعدّها المرجع الذي يؤسس وجود هذا الفن من حيث الاساليب والتحولات، فالبحث في هذا المجال يعد جهد تنقيبي في حقل مرجعي متنوع وكبير وتحدي معرفي شائك بما تمثله دراسة الاستجابة الجمالية من جهة وطرائق العرض والانتاج من جهة اخرى من عقبة تزيد من عمق واتساع مشكلة البحث في تاريخ الفن العراقي لذلك يمكن وضع جملة تساؤلات تحقق في ابعاد المشكلة قد قسم الاطروحة الى الفصل الاول الاطار المنهجي واحتوى على مشكلة البحث أما أهمية البحث فقد استندت إلى إقامة حفريات داخل الفن العراقي أما هدف البحث الكشف عن حضور الفن في مفاصل الثقافة العراقية، وقد تحدد هذا البحث بالحدود موضوعيا يلتزم البحث بدراسة العلاقة بين فن الرسم والثقافة العراقية ، زمانيا: ١٩٢٠-٢٠١٣ مكانيا: الفن التشكيلي في العراق، اما الفصل الثاني تضمن الاطار النظري والدراسات السابقة تناول المبحث الاول: الفن العراقي والحضور التاريخي نشوء الفن في الثقافة العراقية المبحث الثاني: المرجعيات الثقافية للرسم العراقي الفصل الثالث التلقي في الرسم ودور الثقافة الفصل الرابع الاجراءات الفصل الخامس توصل الباحث الى بعض النتائج منها واجهت الثقافة العراقية مرجعيات مؤثرة في بنية الرسم تمثلت بقوى: قبائلية، سياسية، اقتصادية، دينية، فن الرسم العراقي هو فن نخبوي انتاجاً وتطبيقاً، اما الاستنتاجات توصل الباحث الى ان الفن العراقي يقوم على عزلة ثقافية في التلقي والتداول، واجه الرسم العراقي بيئة تلقي قائمة على المعنى وازاحة الشكل اما التوصيات يوصي الباحث الاهتمام بالفن في مناهج الدراسة

وعلى كل المستويات لنشر الثقافة الفنية ، على الدولة تقديم اعمال الفنانين كهدايا لكبار ضيوف العراق لاعادة مكانة الفن العراقي وبما يحقق نتائج متبادلة للفن والحكومة .

الفصل الثالث

المنهجية والاجراءات الاطار التطبيقي:

مجتمع البحث

يتكون مجتمع البحث من مجموعة اعمال طلبة التربية الفنية ومخرجات اعمالهم في الفن العراقي المعاصر أفرزت الحقبة الزمنية من النتاجات الفنية التي تعذر حصرها إحصائياً ، بعدما أطلعت الباحثة على ما منشور من مصورات للأعمال الفنية (رسم) تتعلق بحدود موضوعة مقاربة التأثير الثقافي العراقي ومخرجاتها في رسوم طلبة الفن ، فضلا عن اطلاع الباحثة على ما عرض في معارض كلية الفنون والإفادة منها .ونظرا لسعة المنتجات فقد تم تقسيم المجتمع الى

- الاعمال الفنية الاكثر مقاربة لمخرجات الفكر الثقافي في الفن العراقي المعاصر.
- قدرة الاعمال الادائية والتقنية .
- تباين النماذج المختارة من حيث الأسلوب الفني وآليات توظيف الدلالة والشكل.

عينة البحث:

نظراً لكثرة الأعمال الفنية المنتجة ضمن حدود البحث الحالي وكثرة خريجي طلبة الفنون وتنوع اعمالهم وصعوبة احصاء جميع الأعمال الفنية بكل مراحلها ، فقد تم اختيار عينة البحث بطريقة قصدية وفق التقسيم الآتي التي امتازت بتمثيلها للمجتمع الاصلي وبمقاربتها للحقل النظري ومعالجاتها لموضوعة مقاربة التاثير الثقافي العراقي وستمثل بعض العينات من هذه الاتجاهات وسيكون العرض التحليلي لها يؤشر الى البعد المفاهيمي الذي يفكر فيه الفنان العراقي ومايترشح من هذا الفكر من بعض اساليب اخراجه، وقد تم اختيار العينات وفق المسوغات الآتية:

- **الموروثي والحضاري**
- **الاتجاه الديني**
- **الاسلوب الحروفي**

الاتجاه الموروثي :

لقد صار التوجه إلى البيئة والموروث الشعبي ، الأساطير والحكايات والعادات والتقاليد، واعادة انتاج التراث لها خصوصيتها ، وهناك بعض الاقتراحات الاسلوبية من الفنانين التشكيليين، انسجاماً مع توجهات المفهوم الثقافي السائد ، ولتأكيد هذه الهوية الجديدة في الأعمال الفنية، وجد الفنان العراقي نفسه أمام خيارين رئيسين: فإما أن يحقق الهوية هذه

عبر الموضوعات والمضامين والملامح الإنسانية الخاصة، أي عن طريق البنية الشعبية المكونة للإنسان العراقي وعمارته وهمومه وقضاياه وتطلعاته و رموزه الخاصة، وإما عبر معطيات تراثية عراقية وإسلامية محددة، تجلت في أكثر من منحى لعل أبرزها وأهمها القدرات التشكيلية والتعبيرية المتميزة، للحرف العربي، فضلاً عن المعطيات الزخرفية التي طالما اقترنت به وتكاملت وإياه.

لقد سعى الفن العراقي بهذا المعنى إلى تناول ظواهر تراثية وفولكلورية. ان الأعمال التي أنجزها شاكر الالوسي، تقارب بعض الرسوم القائمة على أسلوب ما يسمى بالبغداديات.. وهي تنطوي على إعادة رسم الأشكال والعلامات التي تشكل هوية الانتماء للمدينة ومقاربة بيئتها المعمارية.

(شكل١٢)شاكر الالوسي

(شكل١٣) فيصل لعيبي

وكذلك مثل فيصل لعيبي الطابع المحلي عبر موضوعات متعددة بملامحها الموروثة والفولكلورية التي يمكن الوقوف على مفاصلها وهويتها مثل: مقاهي بغداد، وفتى عربي بزيه التقليدي المحلي العراقي، وبائع الفواكه، وغيرها .

اما الفنان نوري الراوي، فقد أقام حفرياته في المدينة هذه المرة بوصفها معماره الثقافي، وبذلك فإن الرسم هو مبنى من التراكمات الثقافية للبيت وهويته هنا تكمن في ما يحمله هذا الموروث المعماري من عبق الماضي بما يتضمنه من جماليات وجوانب روحانية إذ يرتبط الإنسان عبر التاريخ بالحيز المكاني الذي يعيش فيه.

(شكل١٤) حسن عبد علوان

(شكل١٥) نوري الراوي

بد علوان إيجاد طريق آخر ي ر ب ب ي ر ة لتأصيل الارتباط وترسيخه بالجذور للخروج بصيغة شرقية معاصرة. فأعماله تؤكد إعادة

صوغ المضامين التراثية الشعبية للبيئة البغدادية مستفيداً من التراث الفني للمدرسة البغدادية التي تمثلها رسوم يحيى الواسطي وأجواء ألف ليلة وليلة.

الاتجاه الديني

استلهم الفن العراقي المعاصر الحدث الديني في أعمال كثيرٍ من الفنانين، ومن التجارب التي اعتمدت الخطاب الديني أعمال الفنان سلام عمر في تمحورها حول صورة السيد المسيح ومريم العذراء والإمام الحسين، لقد بنى مفردات العمل على أساس مربعات تضم شخوصاً لها مرجعيات دينية

(شكل١٦)سلام عمر

(شكل١٧)نزار يحيى

(شكل١ ٨)اياد القاضي

أما الفنان نزار يحيى فقد أقام معرضاً بعنوان (يوسف) لذا كانت اشتغالات الفنان هنا على وضع صورة لامرأة تبكي مع صورة امرأة يحيط بها السواد وصورة ذئب، وهي تحيل على واقع عراقي، إن تأويل العمل يمكن أن يكون محمولاً على قصة (يوسف) والذئب عن طريق مضامينها الأخلاقية والاجتماعية، وأبعادها الدينية .

وفي السياق ذاته تستثمر أعمال الفنان إياد القاضي همّاً عراقياً لامرأة ترتدي عباءة وضعها على أرضية مزخرفة وكتابات قرآنية إن المرأة تحمل بيدها صورة شهيد عمل بطريقة السالب في التصوير، إن هذا العمل يحمل أبعاداً دينية عبر موضوعة الشهادة، وكذلك جلسة المرأة وهي تحتضن ابنها، ويمكن رصد حالة الزيارات الدينية وصورتها في الأضرحة والمقامات الدينية، ان حضور المرأة بزيها العراقي التقليدي هو حضور لصورة الأم المخزونة في داخل اللاوعي الجمعي.

(شكل١٩) جميل حمودي

امتد الفعل الحروفي لا كثر من فنان لكن جميل حمودي يعد من الرواد في هذا الاتجاه، تتشكل البنية الحروفية في هذا العمل من منظومة كتلوية تعتمد في اخراجها على الابانة..

لبعث شيء من القراءة في رسم وتشكيل الحرف ذاته، فنكون امام الالف والحاء والعين وغيرها.

وعليه فان العمل ينتمي الى اللوحات الحروفية المقروءة، لكن هذا الاسلوب لا يعتمد على النص في ايصال المعاني المقروءة بقدر تمسكه باليات المعنى التشكيلي.

يقوم العمل في هذا الفضاء على بنيتين متعارضتين هما الهندسية والكتابية، وينوء التعارض بمحمولات لونية هي ايضا تنشا من نظرة التضاد بين الارضية والكتابة، النظرة الاولية تشير الى التقاطع بين الحروف ذاتها ثم تقاطعاتها مع الارضية.

هكذا اذن يمكن القول ان اللوحة الحروفية ، تنتمي الى المنظومة الكتابية و محاولة اخراج النص وتحديده وتقوم على التباين اللوني والخطي ثم تفعيل اشكال بيئية وعلامات تنتمي الى الخط العربي ، وعليه فان الحروفية التي انجز الفنان عمله بين مقتربي الكتابة والرسم وان الية الكتابة تشكل الحضور الاكثر هيمنة وتقدماً.

نتائج البحث

١- ان الاعمال التي انجزها شاكر الالوسي تقارب بعض الرسوم القائمة على اسلوب مايسمى البغداديات

٢- مثل فيصل لعيبي الطابع المحلي عبر موضوعات متعددة بملامحها الموروثة والفولكلورية .

٣- تكمن هوية الفنان نوري الراوي بالموروث المعماري لما يحمله من عبق الماضي وجماليات وجوانب روحانية تربط الانسان عبر التاريخ بالحيز المكاني الذي يعيش فيه .

٤- حاول الفنان حسن عبد علوان ايجاد طريق آخر في التواصل مع التراث في محاولة لتاصيل الارتباط وترسيخة في الجذور للخروج بصيغة شرقية معاصرة .

٥- اعتمد الفنان سلام عمر على الخطاب الديني والتمحور حول المرجعيات الدينية .

٦- حضور صورة المراة في اعمال نزار يحيى واياد القاضي وهي تمثل الصورة المخزونة في داخل اللاوعي الجمعي .

٧- ظهور الاتجاه الحروفي الذي لا يعتمد على النص في ايصال المعنى بقدر تمسكه بآليات المعنى التشكيلي كما في نتاجات الفنان جميل حمودي .

٨- ان اللوحة الحروفية تنتمي الى مقتربي الكتابة والرسم وان آلية الكتابة تمثل الحضور الاكثر هيمنة وتقدماً .

الاستنتاجات

١. تشكل الثقافة العامة قيمة الوعي الجمالي العراقي في التقبل والانتاج الفني .

٢. ان جذور الثقافة الجمالية في العراق تتحكم بها مرجعيات دينية وسياسية واجتماعية وموروثية .

٣. حاول الفن العراقي بكل اتجاهاته تشكيل خصوصية محلية تقارب وعي المتلقي ومفهوماته
٤. سعى الفنانون العراقيون الى المزاوجة بين التراث المحلي وفكر التحديث ولهذا تنوعت اساليب وطرق العرض والاتجاهات الفنية .
٥. شهد الفن العراقي، نمطاً خاصّاً من التعبير التشكيلي يستلهم الحرف والعلامة التراثية الخطية.
٦. يقوم الفن العراقي على تفعيل الخصوصية المحلية في استدعاء علاماتها البيئية.
٧. اهم ما يميز الثقافة ومخرجاتها في الفن العراقي هو التنوع البيئي والعادات والتقاليد لكل منطقة .

التوصيات:

١-تسليط الضوء على الفن العراقي ومخرجاته عند طلبة الفن من خلال الورش والندوات الفنية.

٢-اقامة السفرات الدراسية والزيارات الميدانية للمعارض الفنية والمتاحف العراقية للطلبة وخصوصا طلبة الفن.

٣- تفعيل العلامات البيئية والعلامة التراثية الخطية لتشكيل الخصوصية المحلية عند الفنانين.

المقترحات:

١- المعنى الجمالي في الرسم العراقي للبيئة الريفية وانعكاسه على طلبة الفنون الجميلة.
٢- دور الثقافة الفنية وتأثيرها في الواقع التعليمي لطلبة الفنون الجميلة .

مصادر البحث

١. بنتون، ويليم، الجمالية: ترجمة، ثامر مهدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠م.
٢. البهنسي ، عفيف ، موسوعة تاريخ الفن والعمارة – الفنون القديمة : دار الرائد العربي ، دار الرائد اللبناني، (المجلد الاول) ، ط١ ،بيروت، ١٩٨٢م.
٣. بولنوار، سعد، التداولية منهج لساني واستراتيجية لتحليل الخطاب: المعهد العربي للبحوث والدراسات الستراتيجية،بيروت،د.ت.
٤. حرب، علي، ازمنة الحداثة الفائقة (الاصلاح الارهاب الشراكة)، دار الرافدين ،بيروت،٢٠١٧.
٥. حرب، علي، هكذا أقرأ ما بعد التفكيك،ط١، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٧م.

٦. حيدر، نجم عبد ، التداولية التواصلية، مجموعة محاضرات القاها على طلبة الدكتوراه، جامعة بغداد- كلية الفنون الجميلة،٢٠١٩.
٧. صبحي، زهراء، غرائب الفن في الفكر المعاصر، دار الفتح للطباعة والنشر،بغداد،٢٠١٩.
٨. عباس ،ثامر ، الهوية الملتبسة ، دار الشؤون الثقافية، العراق ، بغداد ، ٢٠١٢م.
٩. فاوبار، محمد، جدل الصورة والخطاب : مجلة البحرين الثقافية، ع٥٥،البحرين، ٢٠١٢.
١٠. لادريير ، جوف ، أثر العلم والتكنولوجيا على الثقافات وآليات التأثير: ترجمة يوسف تيبس ، ٢٠٠٧،موقع انفاس نت ، من اجل -الثقافة والانسان : http://anfasse.org
١١. مجموعة مؤلفين ، دليل أكسفورد للفلسفة : تحرير، هونرتيش ، ت.ر، نجيب الحصادي ، تحرير الترجمة ، منصور محمد ومحمد حسن ، ليبيا، ٢٠٠٣م.
١٢. محمد، بلاسم، الفن التشكيلي قراءة سيميائية في انساق الرسم،ط١،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع،عمان،٢٠٠٨.
١٣. مطر، سليم ، جدل الهويات- صراع الانتماءات في العراق والشرق الاوسط : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ٢٠٠٣م .
١٤. المعلا، طلال، العالم الضال انحراف الرؤيا في الفنون: دار الثقافة والاعلام ، الشارقة، ٢٠١٣ م.
١٥. مقبول، ادريس، الافق التداولي: نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية ،ط١،عالم الكتب الحديث ،الاردن ،٢٠١١م .
١٦. ميشيل فوكو ، واخرون ، التحليل الثقافي،ط١، العدد ١٢١٨ ، المركز القومي للترجمة ، ت. ر ، فاروق احمد واخرون ، اشراف : جابر عصفور ، القاهرة ، ٢٠٠٨م
١٧. نوبر، ناثان، حوار الرؤية، ترجمة فخري خليل ،دار المأمون ،بغداد،١٩٨٧.
١٨. هاوزر، ارنولد، التاريخ الاجتماعي للفن ،ط١، الهيئة العامة للكتب والاجهزة العلمية ، القاهرة،١٩٦٨.
١٩. اليوت، ت.س، ملاحظات نحو تعريف الثقافة، ترجمة: شكري محمد عياد، ط١، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ،٢٠١٤.

Transformations of aesthetic meaning in culture and their outputs in contemporary Iraqi art

DR. Zahraa subhi khzail
ministry of education
Directorate of Baghdad education karkh III,
Zahraasubhi@gmail.com

Key words: the aesthetic meaning - culture - contemporary Iraqi art

Summary:

It can be said that culture is a human phenomenon that differs according to the different references that establish a vision in societies of the heritage, the civilization, the religious trend, and the literal style in contemporary Iraqi art together, and in light of this, the outputs of the drawings are one of the means of expressing the transformation of the aesthetic meaning, then they form the cultures through which it is possible Achieving the identity of the artistic work, or what is called authenticity and uniqueness .. This research analyzes the phenomenon of the aesthetic meaning shifts in Iraqi culture among Iraqi artists and follows up on references that are based on the artists 'awareness and metaphorical ability.